الترجمة وأثرها في عالمية الثقافة الفلسطينية

د. قسطندي شوملي

كاتب وصحافي

تشغل الترجمة مكانة متميّزة بين سائر الفنون الاخرى. وتمتلك مقوماتها وقواعدها، وتجرى بأساليب مختلفة تهدف جميعها الى نقل الافكار. وتنطوي الترجمة على نظرة انسانية تساعد في زيادة التفاهم الانساني الرفيع، وكذلك، على ضرورة حضارية، اذ ومهما بلغ شعب ما من أسباب الرقي والثقافة، فهو لا يستطيع الاكتفاء بتراثه الخاص، مبتعداً عن التراث الانساني العام الذي تتمثّل فيه آداب الشعوب الاخرى. وتقوم الترجمة هنا بدورها في عملية النقل والربط بين الخاص هنا والانساني العام هناك.

شهدت الثقافة العربية، حتى الآن، ثلاث حركات للترجمة: كانت الاولى في عهد الدولة العباسية، وخاصة في عصري الرشيد والمأمون. وكانت الثانية في النصف الاول من القرن التاسع عشر في عصر محمد علي باشا وابنه ابراهيم باشا. وبدأت الثالثة منذ مطلع القرن الحالي، ونشطت بعد حصول القسم الاكبر من البلدان العربية على استقلاله في عقدي الخمسينات والستينات. وكانت الترجمة في الحركتين الاولى والثانية رسمية، يوعز بها ويرعاها ويشجّعها الحكومة والحكام، أو الهيئات الرسمية المتعددة، في حين أنها تميّزت في الحركة الثالثة بأنها فردية أكثر منها رسمية. وتأتي الحاجة في مقدم الدوافع التي تبعث الناس على ترجمة الآثار الفكرية والادبية؛ فقد شعر العرب عامة والمسلمون خاصة، في العصور القديمة، بحاجة الى ترجمة الفلسفة والمنطق اليونانيين من أجل الدفاع عن الدين ومقارعة خصومه بالحجج القوية. ومن هنا ترجم العرب الفلسفة والمنطق، ولم يترجموا الياذة هوميروس، ولا انيادة فرجيل، ولا مسرحيات سوفوكليس. كما ان الحاجة الى الطب والتطبيب، كانت دافعاً من دوافع النقل عند العرب، الذين شاركوا في نقل كتب الطب اليوناني مشاركة فعّالة[1].

وكانت حركة الترجمة في مصر في عهد محمد علي، تهدف الى نقل ما عند الغرب من علوم جديدة الى العربية، ليسهل على المدرسين والطلاب استعمالها وتدريسها في المدارس الحديثة. وكانت الكتب المترجمة في معظمها تبحث في فن الحكم ونظمه وسياسته، ككتاب «الامير» لميكافيلي، أو الكتب التي تعرّف بالدول الاوروبية أو الكتب التي تتحدّث عن النظم الحربية. وكان القسم الاكبر منها مترجماً عن الفرنسية والايطالية. وساعد اتساع حركة الاتصال والاحتكاك بين الامم والشعوب في العقود الاخيرة، في اشتراك اعداد متزايدة في ميدان الترجمة. وأصبحت الاستجابة العربية للترجمة نابعة من الرغبة في استكمال المعرفة، وتحقيق التقدّم والتطوّر، في جميع المجالات العلمية والصناعية والفكرية، والسير نحو آفاق جديدة.